

مقومات السعادة الزوجية

الشيخ الدكتور ناصر بن سليمان العمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أولاً: المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: (1)

فإن موضوعنا - أيها الأحبة - الذي يدور عليه حديثنا يتعلق بناحية مهمة في حياتنا الاجتماعية، ولذا فإني أقدمه هدية لكل عروسين، بل لكل واحد منكم، والهدية - كما تعلمون - تعبير صادق عن المحبة الكامنة في الفؤاد، والرغبة في إدخال السرور على قلب كل من الزوجين، وهي وإن اعتاد الناس كونها مادية، إلا أنني سأقدمها معنوية، إيثاراً لما يبقى على ما يفنى:

فليُسعد النطقُ إن لم تُسعد الحَالُ

لا خيلَ عندك تُهدِيها ولا مالَ

ولذا أحببت معالجة هذا الموضوع الذي يدور بِجِلْدِ الكثيرين ممن وقفوا على عتبة باب الزواج من فتيان وفتيات، سائلاً الله أن تكون هذه المعالجة سبيلاً إلى تحقيق السعادة لهم جميعاً في الدارين. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة دوافع أذكر أهمها:

1 - أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ ناصر العمر، وقد أذن لنا مشكوراً بإخراجها، ونشرها، حتى يتم النفع بها - إن شاء الله.

📁 - أهمية هذا الموضوع، حيث إن السعادة الزوجية مطلب ضروريّ لك راغب في الزواج، ومقبل عليه، وواقع فيه.

📄 - كثرة وقوع المنازعات والخلافات الزوجية التي تؤدي إلى الفرقة والشقاق، ومن ثمّ الطلاق؛ وليس هذا في مجتمعنا فحسب، بل لا يكاد مجتمع يسلم من زخم الأرقام الهائلة لحوادث الطلاق، وخير دليل نقدمه على صدق هذه الدعوى ما أثبتته الإحصائيات لنسب الطلاق على المستوى الدولي.

ففي أمريكا وصلت نسبة الطلاق إلى (15%).

بينما وصلت في ألمانيا لمن هم دون الخامسة والعشرين عاماً إلى (10%).

وفي أوروبا عموماً وبعض الولايات الأمريكية وصلت إلى (8%).

وإذا انتقلنا إلى الدول العربية، وجدنا بعضها قد وصلت فيه النسبة إلى (10%).

وهذه النسب كلها مذهلة، حيث تجد نسب الطلاق تصل إلى ما فوق النصف، أو الثلث، أو حتى إلى الخمس.

فضلاً عن تلك البيوت التي تتشبه بعقد الزوجية مع ما تعيشه من اختلاف وتمزق وتعاसे.

📄 - أن الأسرة المستقرة تُخرّج الأجيال الذين يُعدون لحمل رسالة الإسلام.

فنحن بحاجة إلى الشاب الصالح والفتاة المؤمنة اللذين يتربيان في بيت ترفرف عليه السعادة؛

لا الفراق والشقاق، وهنا ينشأ الأولاد في جو نفسي رائع بعيد عن التوتر والقلق، وفي مثل هذا البيت يتخرّج الدعاة والمصلحون.

وقد استشرت في هذا الموضوع المهم وهو "مقومات السعادة الزوجية" ذوي الاختصاص،

كما رجعت إلى بعض المراجع، واستفدت من ذوي الخبرة والتجربة، وخرجت من هذا كله بخلاصة تحوي (معظم) مقومات السعادة الزوجية.

ولطول الموضوع، وكثرة ذبوله، فإني سأذكر هذه المقومات على سبيل الإيجاز والاختصار والتركيز الشديد.

وقبل أن أُلجَّ في خِصَمِّ الموضوع، أحب أن أشير إلى اهتمام الإسلام وعنايته البالغة بشأن الزواج، وترغيبه التام، وحثه المطرد عليه، وذلك في آيات وأحاديث كثيرة، أشير إلى بعض منها على عجلة:

فمن الآيات:

📁 - قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء: الآية 📁).

📄 - قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (الروم: من الآية 📄).

📄 - وقوله تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات: الآية 📄).

📄 - ومن صفات المؤمنين التي يذكرها الله لنا في معرض المدح: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان: 📄). فهم ينشدون السعادة في أزواجهم وأولادهم، ويسألونها من القادر عليها - سبحانه -.

ومن الأحاديث:

📁 - قوله ρ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج" ⁽¹⁾ الحديث.

1 - رواه البخاري (فتح 112/9) ومسلم (1400).

ما رواه أنس، أن نفرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، سألوا أزواج النبي صلى الله عليهم عن عمله في السرّ؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء! لا وقال بعضهم: لا آكل اللحم! وقال بعضهم: لا أنام على فراش! فحمد الله وأثنى عليه، فقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنني أصلي وأناصوم وأفطر؛ وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني"⁽¹⁾.

أيها الأحبة إن بناء الأسرة من ضرورات قيام هذا الدين، لأن الأسرة لبنة المجتمع الأولى، وأساس هذا البناء الزواج الناجح المبني على أسس سليمة وأهداف مستقيمة، لأن اختلال الأسس، وتفاهة الأهداف تؤدي إلى انعدام الثمرة من التزاوج، وخذ على هذا مثلاً: أولئك الذين يقدمون على الزواج للمتعة، وقضاء الوطر فقط مجرداً عن المعاني العظيمة التي يُقصد الزواج من أجلها، فسرعان ما يمل أولئك الحياة الزوجية، لأنهم أخطأوا تحديد الهدف منذ البداية.

والإسلام حينما نزل هداية للبشرية، جاء بتشريع كامل شامل لجميع مناحي الحياة، (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (المائدة: 3). لا تجد مسألة إلا وفي الإسلام تشريعها، ولا مشكلة إلا ولها دواؤها. يقول أبو ذر - رضي الله عنه - مترجماً هذا المعنى: "لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكرنا منه علماً"⁽²⁾.

والحياة الزوجية حظيت بغيرها بتشريع متكامل، وعالج الإسلام جميع جوانبها مما يضمن حياة سعيدة هائلة مستقرة.

ولقد كنت أتساءل عن سر هجوم أعداء الله الشرس على الأسرة المسلمة، ومحاولتهم نصب الشباك لإيقاعها في شرك التمزق والاختلاف؟

1 - رواه البخاري (104/9) ومسلم (1401).

2 - رواه أحمد 162/5، 153.

فكان الجواب: أن الأعداء أدركوا أن انهيار الأسرة المسلمة معناه تلقائياً: انهيار المجتمع الإسلامي بكامله؛ فمتى فرّخت القلاقل والمشكلات في بيت، فلا تنتظر أن يتخرّج فيه جيل صالح.

لقد زرت إحدى دور الأحداث، وأذهلتني الإحصائيات المتوافرة هناك، والتي أثبتت أن ما بين 70 إلى 80% من أسباب دخول الأحداث للدار، هو وجود الخلاف الناشب بين الزوجين، أو وقوع الطلاق.

وقد قسمت إحصائياتهم حسب الأحياء، وبتتبع يسير، وجدتُ أن الأحياء التي يكثر فيها وجود الخلافات والمنازعات بين الأزواج يكثر دخول أحداثها للدار، خلافاً لتلك الأحياء التي يقلُّ في بيوتها وقوع الشقاق بين الأزواج، فإن دخول أبنائهم للدار قليل جداً.

أرايتم - أيها الإخوة - ما تُسببه نارُ المنازعة من تصدع في كيان الأسرة، وتقطع لأوصال المجتمع، وانهيار ف بناء الأمة، ومن هنا فطنَ الأعداء لهذا المدخل الخطير، وبذلوا ما في وسعهم لهدم بنائه وتحطيم جدرانته، نسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم.

ثانياً: مقومات السعادة الزوجية

بعد هذه العجالة في بيان شأن الزواج، وأهميته في الإسلام، وضرورة تحقيق السعادة في الحياة الزوجية، ودور الأسرة في بناء كيان الأمة، أنتقل إلى الحديث عن مقومات السعادة الزوجية، والتي سأحاول جاهداً - بعون الله - ربطها بالواقع، لتكون أقرب إلى الأفهام، وأدعى للقبول.

وهي تكمن إجمالاً فيما يلي:

أولاً: أمور يجب أن تراعى قبل الزواج.

ثانياً: القيام بالحقوق الزوجية.

ثالثاً: الواقعية في الحياة الزوجية.

رابعاً: معرفة كل من الزوجين نفسيّة صاحبه.

خامساً: الأولاد.

سادساً: حسن العلاقة مع الآخرين.

سابعاً: القدرة على حل المشكلات.

ثامناً: أمور متفرقة.

وسألقي الضوء على كل قضية من هذه القضايا، مع محاولة الإيجاز ما أمكن، إلا عند اقتضاء

الأمر البيان والإيضاح لما يستدعي الإطالة وطول التأمل.

ثالثاً: أمور يجب أن تراعى قبل الزواج

ثمة مسائل يتعين على المقبل إلى الحياة الزوجية مراعاتها والعناية بها:

1- حسن الاختيار:

روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " تُنكح المرأة لأربع: لجمالها، ولمالها، ولنسبها، فاظفر بذات الدين تربت يداك " (1).

إن مسألة حُسن الاختيار أمرٌ مهم، لا يختلف فيه اثنان، ولكن الذي يدور عليه الاختلاف هو: كيف يكون الاختيار حسناً؟.

حيث نجد أنّ كثيراً من الناس يغلب على اهتماماتهم شأن الجمال، أو الحسب، أو المال، وهذا ليس خطأ في حد ذاته، ولكن الخطأ أن يتنازل الرجل عن أهمّ مواصفات الزوجة، وهو (الدين) على حساب وجود المواصفات الأخرى كلّها أو بعضها، فالدين، الدين، تربت يداك.

وكما أن الرجل مطالب أن يُحسن اختيار شريكة حياته. وأمّ أولاده. يجب على وليّ المرأة أن يُحسن اختيار الرجل المناسب، ليكون زوجاً لموليته.

وإنه لمن المؤسف حقاً أن يستحوذ السؤال عن المكانة والوظيفة والمال والمنصب على ذهن الولي، ويتناسى الدين الذي لا يجوز التنازل عنه ألبتة، وليس اهتمامه بالأمور الأخرى مضرّاً إلا إذا اقتصر عليها، وتنازل عن رأس الأمر كلّه ألا وهو الدين، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (2).

1 - رواه البخاري (132/9 فتح) ومسلم (1466).

2 - رواه الترمذي (1084) وقال: حسن غريب وابن ماجه (1967) والحاكم (2ظ164) وصححه.

وحسن الاختيار لا يقتصر فيه كل من الزوجين على صاحبه فقط، بل ينبغي أن يتعداهما إلى ذويهما وأهلهما، فقد تكون أم الزوجة امرأةً سوء، تؤثر على ابنتها بأخلاقها، وتزرع الشقاق بين ابنتها وزوجها. وقل مثل ذلك فيمن عداها مما يتصل ببيئة الزوجين، وإياكم وخضراء الدمن.

📖 - رؤية الخاطب لمخطوبته:

وهذه المسألة من المسائل التي صار الناس فيها على طرفي نقيض، ما بين مُفْرِطٍ ومُفَرِّطٍ، وخاصة في مجتمعنا!

فمن الآباء من يعتبر رؤية الخاطب لابنته عيباً كبيراً، وأمرأً عسيراً، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حثَّ عليه، ورغَّب فيه، وأمر به، فهو يقول للمغيرة، وقد خطب امرأة: "انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يُؤدَمَ بينكما"⁽¹⁾.

وأبو هريرة ؓ يقول: " مكثت عند رسول الله ﷺ فأتاه رجل من الأنصار، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فأمره الرسول ﷺ أن يذهب وينظر إليها " ⁽²⁾.

والحاصل: أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم، قد أمر برؤية المخطوبة لأنه سبب في دوام العشرة، وبقاء المودة، وطول الألفة.

وعدم السماح بالرؤية مخالفة لهديه صلى الله عليه وسلم، ومجانبة لسنته، والخير كل الخير في اتباع نهجه، واقتفاء أثره.

وقرّط آخرون ففتحوا الباب على مصراعيه، وتركوا الحبل على الغارب، فالخاطب لا ينظر فقط، بل يخلو بالمخطوبة ويحادثها ويضحكها، وقد يصل الأمر إلى الخروج بها، واصطحابها إلى

1 - رواه أحمد 4/246، والترمذي (1087) وحسنه، والحاكم (2/165) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

2 - رواه مسلم (14241).

المنتزهات والأسواق وغيرها، مما يسفر عن محاذير وفجائع، يذهب ضحيتها الفتاة المسكينة؛ والأب المخدوع.

ولا خير إلا في سلوك الصراط السوي، واتباع المنهج النبوي، حيث يُمكن الخاطب من رؤية ما يُرغِّبه في مخطوبته، كالوجه واليدين والشعر وما إلى ذلك، بحضور أحد محارمها.

❏ - عدم المغالاة في المهور وحفلات الزواج:

أ- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: " كان صداق النبي ρ لأزواجه اثني عشر أوقية " (1).

ب- وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: " ما نكح رسول الله ρ نساءه، ولا أنكح بناته، على أكثر من اثني عشر أوقية " (2).

ج- وقال - عليه الصلاة والسلام-: "خير الصداق أيسره" (3).

يقول أحد الكتّاب في هذه المسألة: "إن التوسط والبعد عن الإفراط والخيلاء وحب المظاهر، من أسباب السعادة الزوجية والتوفيق بإذن الله، وهو أمر مطلوب من الأغنياء والوجهاء قبل غيرهم؛ لأنهم هم الذين يصنعون تقاليد المجتمع، والآخرون يتشبهون بهم".

إن بساطة المهر، وحفل الزفاف، خطوة تحتاج إلى عزيمة صادقة، وهمة عالية، لا تبالي بأقوال سفهاء الناس ودَهْمائهم.

وأكثر الناس في قضية المهر، طرفان:

1 - رواه مسلم (1426).

2 - رواه أحمد (40/1، 41)، وأبو داود (2106) والترمذي (1114). وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (176/2) وقال: "تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-".

3 - رواه أبو داود (2117)، والبيهقي (232/7)، والحاكم (182/2) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

غالٍ، وجافٍ، وكلاهما مدموم، فبينما نرى رجلاً يُبالغ في التبسيط حتى يصل مهر ابنته إلى ريال واحد، نجد آخر يغلو ويسرف حتى تبلغ نفقات ليلة الزفاف ما يكفي لزيجات كثيرة.

ولسائل أن يقول: ما علاقة بساطة المهر، وقلة نفقات الزواج بالسعادة الزوجية؟

فنقول: إن الرجل الذي أثقل كاهله بجمع الأموال الطائلة، التي قد يكون أكثرها قد تحمله ديناً على ظهره ينوء بثقله زمناً طويلاً، إنه لا بد أن يتوقع في عروسه المثالية في الجمال والكمال وحسن الحال، وحينما ترحل الليالي الأولى بلذائذها وأفراحها، سيظهر من الزوجة مع الأيام تقصير في شأن من شئون الزوجية، مما يغضب الزوج، ويدفعه لتبكيته: خسرتُ عليك، ودفعت فيك، وأنفقت من المال لأجلك مما أثقل الكاهل، وأنت تفعلين وتفعلين، وهكذا ديدنه عند حدوث أي مشكلة، خاصة، وإن اجتمع عليه مع ذلك ملاحقة الدائنين، وشكاوي الطالبين، فإن الأمر يتفاقم سوءاً في صدره، همٌّ في النهار، وأرقٌ في الليل، وزوجة لها حقوق، فلا خلاص إلا بالطلاق والفراق، وإن لم يكن فنزاع دائم وشقاق.

أما إن تمت مراسيم الزواج، ونفقات المهر، على ما سنّه المصطفى صلى الله عليه وسلم لأمته، فإن الرجل وإن وجد عيباً أو رأى تقصيراً سينعقد لسانه عن ثلبها حياءً، لا محالة، وسيتذكر أن لأبيها فضلاً عليه، حين طلب مهراً مناسباً.

وهذه سعادة سببها تخفيف المهر ومعقوليته.

رابعاً: القيام بالحقوق الزوجية

أولاً: حقوق الزوج على الزوجة :

وهذه قضية طويلة ذات ذيول وشعب، لكن سنحاول المرور على أهم قضاياها بتركيز وإيجاز. علماً بأن مدارها وخلاصتها في قوله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء: ٣٤) وقوله - جل شأنه - : (وَكُنَّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة: ٢٣٢).

والحقوق ثلاثة أقسام:

الأول: حقوق الزوج على الزوجة:

وأصل هذه الحقوق، قوله -تعالى-: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) (النساء: ٣٤) وقوله - جل شأنه - : (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) (البقرة: ٢٣٢).

وحقوق الزوج تتلخص فيما يلي:

أ- القوامة:

وهذا حق تنازل عنه كثير من الرجال بمحض اختيارهم، مما سبب كثيراً من المشكلات العاصفة باستقرار عش الزوجية، وقد يظن قوم أن في تنازل الرج لعن قوامته لزوجته إسعاداً لها، وهذا ظنٌ خاطئ، ذلك لأن المرأة بفطرتها تحب أن تأوي إلى ركن تلجأ إليه، حتى وإن تحدثت بعض النساء أمام صويجباتها بفخر أن زوجها يطيعها، ولا يعصي لها أمراً، مما يوحي بضعف قوامته عليها، فإنها في داخل نفسها تشعر بضعف وخلل في بنية الأسرة.

وعلى العكس منها، تلك المرأة التي تظهر الشكوى من زوجها ذي الشخصية القوية، والقوامة التامة، فإنها وإن باحت بذلك، تشعر براحة توائم فطرتها، وسعادة تناسب ما جُبلت عليه.

ولعلي أوضح هذه القضية بمثالٍ يسفر عن وجه الحق فيها فبالمثال يتضح المقال:

إذا انفلت زماما الأمن في بلد ما، فإن للشعب أن يفعل ما يشاء، لكنه لا يشعر بالاستقرار النفسي، وسيلاحقه خوف مقلق، وجزع مؤرق من جراء ذلك، وقل ضد ذلك إذا ضبطت أركان الدولة، وتولى زمام الأمور رجال أقوياء، مع أنه سيضايق فريقاً من الناس، إلا أنهم سيشعرون باستقرار داخلي، وراحة وأمن وهدوء بال.

ولذلك فإن تنازل الرجل عن قوامته أمر يُشقي المرأة ولا يُسعدُها، ويُسبب وهناً في بناء الأسرة، وتقويضاً في أركانها، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: " لن يُفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأةً " (1) وهذا عام حتى في أمر البيت.

وأرى من أجل استقرار الحياة الزوجية أن تُطالب المرأة زوجها بالقيام بقوامته على الأسرة كما تُطالبه بالنفقة إذا قصرَ فيها.

ب- الطاعة بالمعروف:

ودليل ذلك قوله تعالى: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً) (النساء: 34).

ومن السُّنة: ما جاء في قصة عمّة حُصين بن محصن التي جاءت للرسول ﷺ فسألها: "أذات زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آلوه - أي لا أقصر في خدمته وطاعته - إلا ما عجزت عنه" فقال لها: "انظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك" (2).

ج- ألا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه:

1 - رواه البخاري (فتح 126/8).

2 - رواه أحمد (341/4)، وابن سعد (409/8)، والحاكم (189/2) وصححه، وحسنه الألباني.

ودليل ذلك، ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تصم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه"⁽¹⁾ الحديث.

قال النووي - رحمه الله -: "في هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يفتات على الزوج بالإذن في بيته إلا بإذنه، وهو محمول على ما لا تعلم رضا الزوج به، أما لو علمت رضا الزوج بذلك، فلا حرج عليها"⁽²⁾. كما جرت عاداته بإدخال الضيفان موضعاً معداً لهم، سواء كان حاضراً أو غائباً، فلا يفتقر إدخالهم إلى إذن خاص لذلك، وحاصله أنه لا بد من اعتبار إذنه تفصيلاً أو إجمالاً⁽³⁾.

د- خدمتها له:

خدمة الزوجة لزوجها حقٌّ واجب له عليها، وهذه المسألة وإن وقع فيها خلاف بين أهل العلم، إلا أن القول الصحيح، أن خدمة الزوجة لزوجها واجبة من مثلها لمثله، كما مرّ في قصة عمة حُصين الأنفة الذُّكر، فهي تختلف من بيت لآخر، ومن زوج لزوج، ومع ذلك نجد من النساء من ترهق زوجها، فتطالبه بخادمة مع قدرتها على القيام بشؤون البيت، واستغنائها عمّن يخدمها، وما يدعوها لذلك إلا حب المباهاة والمفاخرة والتقليد الأعمى.

وهذا أحد المنغصات للحياة الزوجية السعيدة، لما فيه من كلفة على الزوج، وإدخال عنصر غرب لا حاجة له في البيت، وبقاء الزوجة في البيت بلا عمل يشغل بالها ويؤلِّد في نفسها أعمالاً أخرى هي ثقل على كاهل الزوج لتملأ الفراغ الذي تُحسُّ به.

1 - رواه البخاري (295/9) ومسلم (1026).

2 - شرح مسلم للنووي 115/7.

3 - رواه البخاري (فتح 295/9) ومسلم (1026).

ولعل الدهشة تصيبك حينما تسمع رجلاً يتحدث في مقابلة أجريت معه في الإذاعة، يحكي فيها أن مرتبه سبعة آلاف ريال، ويسكن في شقة مستأجرة، ولديه خادمتان، ويعمل هذا التصرف بأن زوجته هي التي أرادت ذلك!!
وما يقال للزوجة، يقال للزوج، إذ عليه ألا يكلفها فوق طاقتها بل يجب أن يراعي قدرتها وطاقاتها على العمل.

هـ- ألا تصوم تطوعاً وهو حاضر إلا بإذنه:

ودليل ذلك ما روته عائشة - رضي الله عنها - عن رسول صلى الله عليه وسلم: "لا تصم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه"⁽¹⁾.
وذلك لأن صيام التطوع قد يُفوّت على الزوج كمال الاستمتاع بزوجه ويحرمه منها أثناء صيامها، فإن رضي به فقد أسقط حقه باختياره، وهذا إنما هو في الصيام النافلة دون الواجب.

و- أن تحافظ على نفسها وماله وأولاده:

المرأة في بيت زوجها مسترعاة على ما فيه، وأنفس ما في بيت الرجل زوجته وماله وأولاده، وهي أمانة بيد المرأة يجب عليها تمام حفظها ورعايتها. فهي رعية سُئِل عنها المرأة يوم القيامة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها"⁽²⁾.
وبهذا الحق نكون قد أتينا على خاتمة أبرز حقوق الزوج على زوجته.

الثاني: حقوق الزوجة على زوجها:

1 - البخاري: النكاح (5195) ومسلم: الزكاة (1026) وأحمد (316/2).

(*) هذه الآية في المطلقة، فمن تحت عصمته من باب الأولى.

ويتلخص أهمها فيما يلي:

أ- المهر:

لقوله تعالى: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) (النساء: ٤).^(١)

ويُلحظ في هذا الأمر ما بينته سابقاً، فلا إفراط ولا تفريط، ولا إسراف ولا تقتير.

ب- النفقة والسكن:

لقوله -تعالى-: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة: ٢٣٣).^(٢)

وقوله تعالى: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ) (*) (الطلاق: ٥).^(٣)

ولما روى حكيم بن معاوية عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، ما حق الزوجة على أحدنا؟

قال: "أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت"^(١).

وأخرج الشيخان أن الرسول ﷺ قال لهند بنت عتبة عندما جاءت تشكو شحّ أبي سفيان

عليها وعلى ولدها، قال: "خذني ما يكفيك وولدك بالمعروف"^(٢).

ج- المعاشرة بالمعروف وحسن الخلق:

قال الله تعالى مبيناً هذا الحق: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء: ٣٤).^(٣)

وقال عليه الصلاة والسلام: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله"^(٣).

1 - رواه أحمد 4/446، وأبو داود (2142) وابن ماجه (1850) والاكم (187/2) وصححه ووافقه الذهبي.

2 - رواه البخاري (507/9 فتح) ومسلم (1714).

3 - رواه الترمذي (3895) وقال: حسن غريب صحيح، قال الألباني (الصحيحه 285): وإسناده صحيح على شرط الشيخين وابن حبان (1312 موارد) والحاكم (173/4)

وصححه، ووافقه الذهبي.

ولأجل إنفاذ هذا الحق فإننا نطالب الزوج بالتزام المنهج الشرعي في معاشرة الزوجة بالمعروف، ومعاملتها بالحسنى امتثالاً لقوله تعالى: (فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ) (البقرة: ٢٢١).

يقول الشاعر مصوراً الود الطبيعي والمتكلف، ومبيناً صفات كل منهما وأثره:

إذا المرء لا يلقاك إلا تكلفا	فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة	وفي القلب صبرٌ للحبيب ولو جفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة	فلا خير في ود يجيء تكلفا
ولا خير في خلّ يخون خليله	ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشا قد تقادم عهده	ويظهر سرا كان بالأمس قد خفا
سلام على الدنيا إن لم يكن بها	صديق صدوقٌ صادق الوعد منصفاً

وليعلم أن الناس في العشرة طرفان مذمومان.

فمنهم من لا تعرف الرحمة والعطف إلى قلبه سبيلاً.

ومنهم من يفرط في التساهل والتسامح حتى ينفلت زمام الأمور من يده، والحق وسط بين

الغالي فيه والجافي عنه.

د- حق المبيت والمعاشرة:

وهذا حق يجب على الزوج أن يقوم به، ويراعيه حتى لا يضطر حليلته إلى الخروج عن حياتها.

وهذا الحق من الحقوق التي يقع الخلل في أدائها من قبل بعض الأزواج، فتراه في دنياه لاهثاً أو يدمن السهرات مع الأصحاب والخلان ولا يؤوب إلا في ساعة متأخرة من الليل، قد أرهقه التعب وأضناه اللعب، واستنفد ما في جعبته من المرح واللهو مع مسامريه، فيدخل بلا سلام ولا كلام، ويرتمي على فراشه كالجيفة، ولو قُدِّر له أن يقضي وَطْرَه منها، قضاه على وجه لا تشعر معه المرأة بسعادة، وكأنها ما بقيت في البيت إلا للكنس والطبخ والخدمة وتربية الأطفال، فهي في نظره أو كما يعبر عنه واقعه معها ليست بحاجة إلى قلب يعطف عليها ورجل يداعبها ويحن إليها، ويروي عاطفتها، ويُشبع غريزتها. وإذا كان الرجل يُنهي عن الانهماك في العبادة لأجل إتمام هذا الحق لزوجته فكيف بإهدار الوقت وإضاعته في السهرات العابثة والليالي اللاهية؟

جاء سلمان الفارسي لأبي الدرداء يزوره، وقد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أم الدرداء مبتدلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: إن أخاك لا حاجة له في الدنيا، يقوم الليل، ويصوم النهار!! فجاء أبو الدرداء، فرحب به، وقرب إليه طعاماً فقال له سلمان: كُلْ. قال: إني صائم، قال: أقسمت عليك لتفطرن، فأكل معه، ثم بات عنده، فلما كان الليل، أراد أبو الدرداء أن يقوم، فمنعه سلمان. وقال: إن لجسدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، صُم وافطر، وائت أهلك، وأعط كل ذي حق حقه، فلما كان وجه الصبح، قال: قم الآن إن شئت، فقاما، فتوضأ ثم ركعا، ثم خرجا إلى الصلاة، فأتى النبي صلى الله عليه، فذكر ذلك له، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "صدق سلمان"⁽¹⁾.

هـ- تعليمها أمور دينها:

1 - رواه البخاري 0فتح 209/4).

أهم من النفقة والمبيت أن يعلمها الزوج أمور دينها وبخاصة إذا كانت المرأة لم تأخذ من التعليم الشرعي ما يكفيها في أمور دينها وديناها، وعلى الزوج أن يتخذ من الوسائل الشرعية ما يُكَمِّل به هذا الجانب، والرسول صلى الله عليه وسلم، كان يعلم تساءه أمور دينهن، وزوّج رجلاً من الصحابة امرأة على ما معه من القرآن.

وهذا الأمر تسال فيه كثير من الأزواج فالله المستعان.

و- الغيرة عليها:

من أبرز حقوق الزوجة وواجبات الزوج أن يصون كرامتها ويحفظ عِزُّها، ويغار عليها. ومن المؤسف أن بعض حيوانات الغابة أكثر غيرةً على زوجاتهن من بعض الرجال، فتراه يطلق العنان لزوجته تختلط مع الرجال وتحادثهم، وتذهب للأسواق وحدها، وقد تركب مع السائق وحده، وإذا كان الحمو⁽¹⁾ هو الموت كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم، فكيف بغيره.

ومن ضعف الغيرة أن ترى المرأة الرجال في آلات اللهو والفساد. ومن أشد الصحابة غيرة سعد - رضي الله عنه - حتى قال فيه صلى الله عليه وسلم: "أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أَعْيُرُ منه والله أغير مني". رواه مسلم.

فأدوا حقوق زوجاتكم بالغيرة عليهن، وإلا فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

الثالث: الحقوق المشتركة بين الزوجين:

1 - الحمو: أخو الزوج.

هناك حقوق مشتركة تجب لكل واحد من الزوجين تجاه صاحبه، وليست خاصة بأحدهما،
نلخصها فيما يلي:

أ- عدم إفشاء السر:

كل واحد من الزوجين مطالب بكتمان ما يراه من صاحبه، أو يسمعه منه، وهذا أدب عام
حثّ عليه الإسلام، ورغب فيه وبخاصة ما يقع بين الزوجين، حيث يقول الرسول صلى الله عليه
وسلم: "إن من أشرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يُفْضِي إلى امرأته، وتُفْضِي إليه يَم
ينشر سرّها"⁽¹⁾.

يقول الشاعر:

فالمرءُ يسلمُ باللسانِ ويعطبُ

واحفظْ لسانك واحترزْ من لفظه

ثرثارةً في كلِّ نادٍ تخطبُ

وزنِ الكلامِ إذا نطقتِ ولا تكنِ

فهو الأسيرُ لديك إذ لا ينشبُ

والسرّ فاكتمه ولا تنطقِ به

فرجوعها بعدَ التنافرِ يصعبُ

واحرصْ على حفظِ القلوبِ من الأذى

مثلُ الزجاجَةِ كسرُها لا يشعبُ

إنَّ القلوبَ إذا تنافرَ ودّها

ب- المناصحة بينهما:

1 - رواه مسلم (1437).

للتناصح وبخاصة بين الزوجين دور كبير في الارتقاء بمستوى الأسرة، ورتق الفتوق الواقعة فيها، وإنارة درب السلامة من التردّي في الخطأ، بيد أن كثيراً نما لأزواج يرى من غير الطبيعي أن تؤدي المرأة دورها في نصيحة زوجها، وأن من السائغ والمعتاد أن تكون من جانبه دونها، ويصل الظنّ بجملته منهم إلى أن قيامها بالنصيحة نوع من التطاول والعجرفة، وخذش لكرامة الرجل، وقوامة الزوج، وهذا خطأ ظاهر، وهدم لعش الزوجية وسعادة الأسرة.

ج- الشورى:

بمعنى أن يكون التشاور وتداول الرأي قائماً بين الزوجين فيما يتعلق بشئون البيت، وتدير أمر الأسرة، ومصير الأولاد، وليس من الحكمة في شيء أن يستبد الرجل برأيه ولا يلتفت إلى مشورة امرأته، لا لشيء، إلا لأنها امرأة، ومشورتها قدح لقوامته عليها في نظره السقيم. فكم من امرأة أدلت برأي صار له أكبر الأثر في استقامة أمور وصلاح الأحوال، وخير من يقتدى به في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم أن دخل على أم سلمة غاضباً مما فعل أصحابه يوم الحديبية حيث أمرهم بالحلل والتحلل فكأنهم تخرجوا وتباطؤوا، فأشارت عليه أم سلمة أن يخلق هو حتى يخلقوا، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بمشورتها، فما كان إلا أن بادروا إلى امتثال أمره عليه الصلاة والسلام.

د- صدق المودة بين الزوجين:

مما لا تتم السعادة الزوجية إلا به، تحب كلٌّ من الزوجين إلى صاحبه وإظهار صدق المودة، وتراشق الكلمات الحنونة، فإن ذلك أحسن ما تستقيم به أحوال الزوجين، وأفضل ما تبني عليه حياتهما، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مع أزواجه - رضي الله عنهن - ولسنا بخير منه حتى نستنكف عما فعله، ولما امتدح الله حُورَ الجنة ذكر من جميل أوصافهن كونهن (عُرْباً أتراباً) (الواقعة: 37). والعروب: هي المتحبة إلى أزواجه.

والحياة الزوجية التي يُفقد من قاموسها الكلمات الطيبة الجميلة، والعبارات الدافئة حياة قد
أفلت أجمُ السعادة فيها.

إذا الريحُ مالتُ مالَ حيثُ تميلُ

ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ مُتلونٍ

وكم من حُسنٍ في الخُلُقِ غطى عيباً في الخُلُقِ.

خامساً: الواقعية في الحياة الزوجية

للواقعية نصيب وافر في زُفْرَة أجنحة السعادة على عش الزوجية، ويمكن الحديث عنها عبر المجالات الآتية:

أ- الواقعية في المهور وحفلات الزواج والهدايا:

إن إثقال كاهل الزوج بمهر باهظ وحفلة زفاف مجحفة لا يعود على الحياة الزوجية إلا بالنكد والهم والتعب، لذا لا بد أن يكون المهر وحفلة العرس موائمة لحال الزوج مناسبة لوضعه المادي، لنضمن - بإذن الله - هدوء نفسه، وراحة باله، وطمأنينة قلبه، حتى يستقبل حياته الزوجية بانسراح ورغبة.


ومثل ذلك يُقال، فيما تعارف الناس عليه من الهدايا في الأعراس والمناسبات. إذ يجب أن يكن بقدر حال الزوج، وليس من مصلحة المرأة أن تلحّ وتطالب بما هو أعلى ثمناً وأعلى قدراً مما لا تسمح ظروف الزوج المادية به، وكثرة ذلك مؤذنة بغياب السعادة وأفول شمسها من عش الزوجية إن لم يصل الحد إلى أمر لا تحمد عقباه.

ب- الواقعية في النفقة:

إن من خير ما تحلّت به المرأة المسلمة من الصفات مع زوجها مراعاتها لطاقته وقدرته في النفقة، فلا إلحاح في حالة العسر، ولا شراهة في وقت اليسر، بل تلبس لكل حالة لبوسها، وترضى منه باليسير، وشرذت ما اتصفت به المرأة الشراهة وكثرة المطالب وهذا لا يزيدا من زوجها إلا بُعداً، ولا من قلبه إلا بُغضاً.

وقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه شهراً لما سألته في النفقة، وأكثرن عليه فيها حتى أنزل الله سبحانه قوله: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتِعْكَنَّ وَأَسْرِحْهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ

لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) (الأحزاب: 28، 29). فخيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترته⁽¹⁾.

وعلى الرجل أيضاً ألا يكون شحيحاً على أهله، مقتراً عليهم، بل ينفق عليهم من سعته ولا يكلف الله نفساً إلى ما آتاها، (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) (الطلاق: )⁽²⁾.

ج- الواقعية في الصفات وتجنب المثالية:

وهذه الخصلة لا تكاد توجد إلا عند نزرٍ يسير من الناس ممن وفقهم الله، بينما غالبهم عندما بهمُ بالزواج يرسم الزوجة في ذهنه رسماً يتواءم مع طموحاته الوهمية البعيدة عن أرض الواقع. وكأنه يصور بيده تمثالاً لامرأة وهمية، مما حدا بأحد الأذكياء، عندما أخبره صاحبه بالصفات التي ينشدها في شريكة حياته، أن قال لمحدثه: إن المرأة التي تطلب موجودة، ولكن عليك أن تنتظر إلى أن نُبعث لأن امرأة بمثل ما تذكر لا توجد إلا في الجنة.

نعم إن الاعتدال في المطالب والصفات لا بد وأن يكون مركزاً في ذهن كل من الزوجين، ويجلي ذلك بوضوح قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها خلقا آخر"⁽²⁾.

وتلك هي سنة الله في خلقه ألا يجتمع الكمال في كل الصفات في عامة البشر، فقد تكون المرأة وسطاً في الجمال لكنها ذات دين وخلق عظيم.

ولو وقف نُشَاد الكمال مع أنفسهم وقفة تأمل ومحاسبة لوجدوا أنهم لم ينصفوا، إذ غالب ما يطلبونه قد لا يكون متوافراً فيهم، فكما أنك تريد فغيرك يطلب منك ما تريد وإلا صار مصيرك

1 - رواه مسلم (1478).

2 - رواه مسلم (1469).

مصيرَ ذلك الرجل الذي ظل يطلب الزوجة المثالية في نظره ردها طويلاً من عمره فلما وجدها وتقدم لخطبتها، رفضته، لأنها لم تجد بُغيتها فيه، فعاد بالخيبة والحرمان.

د- الواقعية في المطالبة بالحقوق وأداء الواجبات:

ليس من حسن العشرة أن يُكَلَّف الزوج امرأته شططاً، وينهكها في تحقيق حقوقه تعباً، بل عليه أن يسلك هدياً قاصداً، ويتغاضى عن بعض حقوقه في سبيل تحقيق المهم منها، إحساناً للعشرة، وتخفيفاً على الزوجة.

وكذا حال المرأة مع زوجها لتستديم محبته، وتكسب ثقته ومودته.

والواقعية في هذا قد نبه عليها الشاعر بقوله:

وأبق فلم يستوف قط كريم

فسامح ولا تستوف حقك كله

كلا طرفي قصد الأمور ذميم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد

وآخر يقول مبيناً ضرورة الواقعية في الصحبة:

منه الإصابة بالغلط

سامح أخاك إذا خلط

إن زاغ يوماً أو سقط

وتجاف عن تعنيفه

شكر الصنوعة أو غمط

واحفظ صنيعك عنده

إن عز وادن إذا شحط

وأطعه إن عاص وهن

مهذباً رُمت الشطط

واعلم بأنك إن طلبت

ومن له الحسنى فقط

من ذا الذي ما ساء قط

سادساً: معرفة كل من الزوجين نفسية صاحبه

وهذه إحدى القضايا التي لا تجد من كثير من الأزواج عناية مع أن دوام العشرة، وهناءة العيش لا تحصل على أتم وجوها إلا عندما يدرك كل منهما نفسية صاحبه ومزاجه، وما يحبه ويكرهه، وما يرضيه ويسخطه، وما يقبله، ويرفضه، وهذه الأمور لا يتحتم إدراكها بالسؤال، بل يعرفها الفطن الذكي من الحال والمقال.

وخير ما يستشهد به على هذا لبيان أثره على حياة الزوجين قصة شريح القاضي، لما تزوج بامرأة من بني تميم، فيقول: لما دخلت عليها قمت أتوضأ، فتوضأت معي، وصليت فصلت معي، فلما انتهيت من الصلاة دعوت بأن تكون ناصية مباركة، وأن يعطيني الله من خيرها، ويكفيني شرها، قال: فحَمِدَ اللهُ، وأثنت، ثم قالت: إني امرأة غريبة عليك فماذا يعجبك فأتيه، وماذا تكره فأجتنبه، قال: فقلت: إني أحب كذا، وأكره كذا، فقالت: هل تحب أن يزورك أهلي. فقلت: إني رجل قاضٍ، وأخاف أن أملهم، فقالت: من تحب أن يزورك من جيرانك، فأخبرتها بذلك.

قال شريح: فجلست مع هذه المرأة في أرغد عيش وأهنئه حتى حال الحول، إذ دخلت البيت فإذا بعجوز تأمر وتنهى، فسألتُ: من هذه؟ فقالت: إنها أُمِّي. فسألته الأم: كيف أنت وزوجتك؟ فقال لها: خير زوجة، فقالت: ما حوت البيوت شرّاً من المدللة، فإذا رابك منها ريب فعليك بالسوط.

قال شريح: فكانت تأتينا مرة كل سنة، تنصح ابنتها، وتوصيها، ومكثت مع زوجتي عشرين عاماً، لم أغضب منها إلا مرة واحدة، وكنت لها ظالماً⁽¹⁾.

1 - القصة مذكورة بطولها في العقد الفريد 92/6.

لذا فمعرفة كل من الزوجين لنفسية صاحبه قضية لها أثرها في الحياة الزوجية، وتجاهل هذا الأمر له ما بعده.

سابعاً: الأولاد

من المعلوم أن من أعظم مقاصد النكاح لب الولد، والإنجاب، وهذا المقصد يتعلق به حقوق ومستلزمات، لها أثر في السعادة الزوجية. نعرض في هذه العجالة لطرف منها، ونبين الموقف الأمثل نُجَاهها. والله المستعان.

1- الإنجاب:

بعض الأزواج يطلب من زوجته التريث في الحمل باستعمال مانع له بعد الزواج مباشرة بحجة طلب المتعة، وهذا فيه ضرر بالغ على الزوجة، إذ من الثابت طبيياً أن استعمال الحبوب المانعة للحمل من قبل امرأة لم يسبق لها الإنجاب قد يؤدي إلى عقم تحرم معه المرأة من الولد طيلة عمرها.

ومن الزوجات من تفضل الانتظار سنة أو أكثر بدعوى التأكد من توافقها مع زوجها، وهذا تشاؤم بحدوث المكروه:

إن البلاء موكل بالمنطق

احذر لسانك أن تقول فتبتلى

وقسم من الزوجات ترفض الحمل؛ لأنه يعيقها عن مواصلة دراستها، مما يسبب سامة الزوج من رتابة حياته الزوجية معها، لخلوها من مولود يجدد سعادتهما، ويملاً عاطفة الأبوة لديهما. وبعضهن تستمرى هذا الرفض حتى بعد الدراسة بحجة العمل، وهي حجة عليلة خالية المضمون، قد تحدث الفرقة بين الزوجين كما حدثني بذلك أحدهم عن زوجته التي امتنعت عن الحمل بحجة الدراسة، وبعد إتمام الدراسة رفضت الإنجاب بحجة العمل، ويرى الآن أنه لا حلّ للمشكلة إلا بالطلاق، مع أن المسلم مطالب بكثرة الإنجاب - مع عدم الضرر - لأن الرسول صلى الله عليه وسلم، مكاثر بأُمَّته الأمم يوم القيامة.

ب- تربية الأولاد:

غير خافٍ أن الناس يختلفون في طرائق التربية والتوجيه، وهكذا الحال مع الزوجين، فإنهما قد لا يتفقان على منهج واحد في التربية، بسبب اختلاف طبيعة الرجل عن المرأة. إلا أنه من المتفق عليه أن ثمة مجالات تختلف باختلاف سنّ الولد وطبيعته يكون رائد التربية فيها الأب، ومجالات أخرى يكون رائد التربية فيها الأم، فعلى كل من الزوجين احترام وتقدير مجال صاحبه، وعدم التعدي عليه فيه، مع التسليم بأن القوامة للرجل، سُنّة الله التي قد حكم بين العباد، وهذا لا يعني — ألبتّة — أن يلجأ أحدهما إلى تخطئة الآخر أمام الأولاد، وتجريحه والنيل من كرامته، أو يختلف الأبوان في الأسلوب الأمثل لحل واقعة بين الأولاد بحضورهم، فإن ذلك يؤدي إلى جرح عميق في نفوسهم، يبقى أثره أبد الدهر، وأقل ما يحصل من ذلك عقوق الأولاد لأحدهما، واستهانتهم بالمهزوم منهما، ولعلكم تُدركون هذا جيداً حينما تسمعون أن امرأة لها أربعة أبناء، كل منهم يملك سيارة خاصة، إلا أنها مع ذلك تستعمل النقل الجماعي وأحياناً تستقدم سائقاً خاصّاً؛ لرفض أولادها خدمتها. ومن أسباب ذلك تصرف زوجها الذي كان يقوم بإهانتها أمام أولادها، حتى فقدت كل مقومات التأثير عليهم، فبدر منهم هذا العقوق لها.

وإذا كان للزوج ملحوظة على زوجته بشأن تربية الأولاد، فلا يبدي هذه الملاحظة أمام الأولاد، ولكن إذا انفرد بها قال لها ما شاء، ومثل ذلك الزوجة من باب أولى.

ثامناً: حُسن العلاقة مع الآخرين

ونعني بهم والديّ كلّ من الزوجين وأقاربهما، وكذا جيرانهما. فعلى كل من الزوجين أن يراعي حق صاحبه في والديه وأقاربه، وألا يذكر أحداً منهم بسوء، فإن ذلك يوغر الصدور، ويجلب النفرة بين الزوجين، وكم من زوج تحدث أمام حليلته بمثالب أبيها وسقطاته - وهو من هو في جلالة قدره عندها - فأحدث ذلك ألماً في قلبها أطفأ شمعة السعادة المضيئة في حياتها مع زوجها، وأشد من ذلك الحديث عن أمها.

وإذا كان هذا في حق الزوج وله القوامة، فما بالك بحديث الزوجة عن والدي زوجها بسوء. ولسنا نلزم أحداً منهما بمحبة أقارب الآخر، فالقلوب بيد الرحمن، يصرفها كيف يشاء، ولكننا نُحْتَمُّ عليه أن يحفظ لصاحبه مشاعره، وكرامته وعرضه. وأقارب كل من الزوجين يجب احترامهم وتقديرهم وعدم الإساءة إليهم. أما عن علاقة الزوجين بالجيران، فتختلف باختلاف الجيران، فينبغي عليهما تحديد إطار مسبق لعلاقتهم بهم.

تاسعاً: القدرة على حل المشكلات

ما من زوج ولا زوجة إلا ويريد أن يجعل من نفسه شخصاً قادراً على حل المشكلات الزوجية، والتغلب عليها، ولذا سنطيل النظر فيها لأهميتها، وعظم خطرهما. ويتم ذلك في نظري بمراعاة عدة أمور.

أ- التروي والحكمة:

عندما يمعن المرء النظر في الحياة الزوجية عند عامة الناس لا يكاد يجد بيتاً يسلم من مشكلة تحبب نارها إلى وأخرى على إثرها يتأجج أوارها. وليس هذا غريباً على طبائع البشر، حتى بيت النبوة لم يكن بمنأى عن تلك الخلافات لكنها حكمة الله تتجلى في وجودها، ليظهر للناس كيف يقف المصطفى صلى الله عليه وسلم منها، فتقتدي الأمة به، وتتأسى بهديه، ولو شاء الله لصقّى للمصطفى حياته من الكدر، ومشكلات البشر.

يروى أنس - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند بعض نساءه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم. فسقطت الصحيفة، فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحيفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحيفة، ويقول: " غارت أمكم"، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفعت الصحيفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه⁽¹⁾.

فانظر - رعاك الله - إلى هذه الأناة وتلك الحكمة من هادي البشرية في معالجة الخلافات، واحتواء المشكلة قبل أن تكبر وتتعاظم.

1 - رواه البخاري (فتح 320/9) والصحفة: إناء يشبع الخمسة. والخادم: واحد الخدم يطلق على الذكر والأنثى.

إن من أعظم ما يجب الاستمسك به عند اندلاع نار الفتنة في بيت الزوجية هو أن يطفىء المرء نارها بماء الأناة والحكمة وإلا فإن النار قد تزداد اشتعالاً فتُهْلِك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد.

ولقد حدث لأحد الأزواج خلاف مع زوجته، أثار غضبها، وطلبت منه الطلاق بقوة وإلحاح، فأمرها أن تأتي بورقة وقلم ليكتب ما تريد، فجاءت بهما، فأشار عليها أن يؤجل الكتابة إلى الغد، فوافقت، فما أشرقت شمس غد حتى أشرق نور الوفاق بينهما، بعد زوال سؤرة الغضب، وحادّة التوتّر وعلمت الزوجة أثر أناة زوجها في حل المشكلة وتلافيها.

ب- التكيف:

ونقصد به: حمل كل من الزوجين نفسه على التأقلم مع صاحبه ومراعاة اختلاف طبيعته، وطريقته في التعامل.

وهذه المسألة من أخطر المشكلات التي تواجه الزوجين في بداية الزواج، كما حدثني بذلك أحد المختصين، لأن كلاً منهما قد عاش في بيئة تختلف عن بيئة الآخر وعلى منهج مغاير، فهل ينتظر منهما أن يتوافقا في الأذواق والأمزجة والطبائع في غضون ليالٍ قليلة إن لم يحمل كلٌ نفسه على التكيف مع صاحبه، خصوصاً في بدء حياتهما. وعندما ينعدم التكيف نسمع أن فلاناً طلق عروسه ليلة عرسه، وآخر فارقها بعد أسبوع، وأخرى طلبت الطلاق بعد شهر، وكان الأجدر بهؤلاء أن لو تريضوا وحملوا أنفسهم على الاختلاف الطارئ في التعامل.

ج- ضبط اللسان:

حفظ اللسان من سيئ الكلام، وبذيء الحديث، والثرثرة أعظم مفتاح يمتلكه المرء لإغلاق باب المنازعات على نفسه، إذ لو تأمل العاقل في غالب منازعات الناس، فضلاً عن الزوجين، لوجدها من عثرات الألسن، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قال لمعاذ - رضي الله

عليه - : "وهل يكبُّ الناسَ في النارِ على وجوههم، أو قال على مناخرهم، إلا حصائدُ ألسنتهم" (1).

نعم إن فلتات اللسان مقاتل الإنسان، وأماني الشيطان، وصدق من قال:

يُصاب الفتى من عثرة بلسانه

وليس يُصاب المرء من عثرة الرجل

فعترة القول تُذهبُ رأسه

وعسرتة بالرجل تبرأ على مهل

وآخر يقول:

احفظ لسانك أيها الإنسان

لا يلدغتك إنه تُعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه

كانت تهاب لقاءه الشجعان

وثالث يبيِّن مدى السلامة في ترك الثثرة:

الصمت زَيْنٌ والسكوت سلامة

فإذا نطقت فلا تكن مكثارا

فلئن ندمت على سكوتك مرة

فلتندمن على الكلام مرارا

ولذا فعلى كل من الزوجين حفظ لسانه وبخاصة عند حدوث المشكلات وارتفاع سؤرة الغضب، فمنه كلمة ومنها أخرى حتى يقع المحذور.

د- عدم نقل المشكلات خارج البيت:

إن نقل المشكلة خارج نطاق البيت يعني بقاءها، وازدياد اشتعال نارها، وخصوصاً إذا نقلت إلى أهل أحد الزوجين، لأنهم لا يدركون أبعاد المشكلة وأسبابها، وغالباً ما يسمعون القضية من

1 - رواه أحمد 231/5، 236، 237، والترمذي (2616) وقال: حديث حسن صحيح.

طرف واحد، هو خصم، والخصم لا يسمع كلامه إلا بحضور خصمه، فيحكمون حكماً جائراً أعور، وقد تأخذهم الحمية لإنقاذ ابنهم أو ابنتهم، فيضرمون نار العداوة والبغضاء بين الزوجين إضراراً يذهب بالبقية الباقية من أواصر المحبة بينهما.

وغالب ما يحدث من منازعات بين الزوجين إنما هي أمور طفيفة لأسباب تافهة، تقوم لسوء مزاج أحدهما في وقت معين أو نحو ذلك، ثم تُصور للآخرين بألفاظ أضخم من حقيقة المشكلة فيظن السامع لها الذي لم يعايشها أنها كبيرة ومستعصية، فتأتي على إثر ذلك حلول شوهاء، يذهب ضحيتها الزوجان. ولذلك كان من المستحسن أن يتواصى الزوجان، ويتعاهدا على عدم نقل مشاكلاتهما خارج عش الزوجية، وأن يحرصا كل الحرص على ألا تبيت المشكلة معهما ليلة واحدة.

على الذي نالك من عضته

إن عضك الدهر فكن صابراً

إلا لمن تطمّع في رحمته

أو مسك الضر فلا تشتك

هـ- استشارة ذوي العقول وأهل الاختصاص⁽¹⁾:

إن التشاور مع ذوي الشأن وأرباب الحِجى عامل مهمّ في كل ما يحدث من خلاف بين الزوجين، ذلك لأن غيرك يعرف من الحلول ما لا تعرفه، وقد يكون ممن وقع في حدّثٍ مماثل فوّق للحل المناسب. وعادة ما يصاب المرء حين المشكلة بضيق في الرأي، وتعكير على صفو التفكير، يحتاج معه إلى الاستناد إلى آراء الآخرين، للخلاص مما هو واقع فيه.

1 - هذا لا يتعارض مع الذي قبله فليتأمل.

وأعرف شاباً وقع في بيته حدث كاد يُودي بالحياة الزوجية إلى أمر محزن، لولا أن الله وفقه لاستشارة صاحب رأي من إخوانه، فطمأنه إلى أنه لا مشكلة فيما حدث، إن عمل بمشورته بإذن الله، وفعلاً انقلبت المشكلة إلى سعادة ورضا، وصارت الزوجة تخجل من نفسها إذا تذكرت ما حصل منها، وحمد الزوج ربّه على الأناة، وضبط اللسان، واستشارة ذوي الشأن.

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) (النساء: ٣٥).

و- الرضا بالقضاء والقدر

إن من أعظم ثمرات الإيمان بقدر الله وقضائه، الاطمئنان إلى عدل الله وحكمته، فإن أمر المؤمن كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له، والصبر على مُرّ القضاء دليل على قوة الإيمان وهو ابتلاء من الرحمن لعبده، أيقابله بالشكر والرضا، أم بالكفر، والسخط بما قدره الله تعالى، والاعتراض على حكمته وتدييره.

وليعلم الزوجان أن رضاهما بما قدر عليهما كعدم الإنجاب، أو ضعف الولد أو تشويبه أو نحو ذلك من أسباب المشكلات، واحتسابهما الأجر عند ربهما وصبرهما على بليتهما خيرٌ لهما في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا سعادةً وانسراح صدرٍ. وفي الآخرة جنة، ورضوان من الله أكبر.

وإنه لينقضي عجبك من قوم تسمع عن أحدهم أنه هدد امرأته بالطلاق، لأنها تنجب البنات. وكأنه لا يدري أن أمر الولد ليس موكولاً إليها، ولا إلى أحد من المخلوقين، بل هو تقدير العزيز العليم (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) (الشورى: الآيتان ٢٢٠، ٢٢١). وكأنه أدري بالحكمة وأعرف بالمصلحة من ربه - جل وعلا -، وهذا التصرف دليل على ضعف الإيمان، وقلة اليقين.

وقد روت كتب الأخبار أن رجلاً سخط على امرأته وهجرها لأنها مئناثٌ لا تلدُ إلا البنات، وتزوج من أخرى، فأنشأت أبياتاً تقولها وهي ترقص إحدى بُنياتها وتبين أنه لا مجال للسخط عليها:

يظل في البيت الذي يلينا

مال أبي حمزة لا يأتينا

تالله ما ذاك في أيدينا

غضبان أنا لا نلد البنينا

نسبت ما زرعوه فينا

وإنما نحن كالأرض لزارعينا

فأدرك الزوج خطأه، وعاد إلى زوجته، وعاشرها بالحسنى.

وقد يتلى بعض الرجال بزوجة دميمة، فعليه أن يصبر على ما ابتلي به (فإن كرهتُموهنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: من الآية ٣٤). وعليه ألا يُعيّر المرأة بدمامتها، وهو أمرٌ ليس من تقديرها وخلقها، وقد يؤدي مثل هذا التعبير والتنقص إلى إثارة المرأة ومحاولتها الانتقام من زوجها، كما نشرت جريدة الرياض قصة امرأة مصرية، قتلت زوجها، وقطعته عدة قطع، لأنه كان يعيرها بقبحها، ويهددها بالزواج عليها.

ومثل ذلك إذا أنجبت المرأة أولاداً معوقين، فعليه بالرضا بالقضاء والقدر، ولعل الله أراد به خيراً، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه، وعليه بفعل ما يشرع من الأسباب لتلافي مثل ذلك، وقل مثل هذا إذا أصيب أحد الزوجين بمرض أو عاهة فعلى الآخر الرضا والصبر والاحتساب، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وعلى الزوجة أن تصبر إذا افتقر زوجها بعد غنى، أو ابتلي بمصيبة من مصائب الدنيا كالسجن والتغرب وغيرها (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (الطلاق: من الآية ٤٢).

عاشراً: أمور متفرقة

بقيت أمور مهمة، الحديث عنها، وإبداء الرأي فيها جزء من مقومات السعادة الزوجية، أفردتها لأهميتها في الحياة الزوجية، وهي كالتالي:

📁 - عمل المرأة:

مما يُحدث إشكالات في حالات كثيرة بين الأزواج، قضية عمل المرأة، والأمر فيها بيّن واضح: فإن كانت المرأة اشترطته على زوجها دائماً أو وقتاً معيناً، فإن عليه أن يلتزم بالشرط كما اتفقا عليه حين العقد ورضيا به، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج"⁽¹⁾.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون على شروطهم"⁽²⁾.

وإن اشترط الزوج على زوجته ألا تعمل، أو لم يكن هناك شرط سابق لكنه رفض عملها، لزمها أن تطيع وتسمع؛ لأنه بَعَلها، وطاعته واجبة عليها.

ولكن على المرأة ألا تركب رأسها حين يكون العمل مضرّاً بحياتها الزوجية مرهقاً للزوج، بل ينبغي لها أن تتنازل عن شرطها، وتتخلى عن عملها، لأن الإبقاء على الزوج، وتقدير مصلحة البيت خير لها من لزوم العمل، وهذا كله إنما يتم بطريق المفاهمة والمشاورة ومبادلة الرأي.

📖 - مال الزوجة:

1 - رواه البخاري (فتح 323/5) ومسلم (1418).

2 - رواه أبو داود (3594) والحاكم (49/2) والبيهقي (79/6) وغيرهم من حديث أبي هريرة وعائشة وأنس، وابن عمر، ورافع بن خديح وعمرو بن عوف، وهو صحيح بمجموع طرقه. انظر الإرواء (1303).

بعض الأزواج يغلبه الطمع فيتسلط على مال زوجته بدون رضاها، وهذا ليس من حقه، بل للمرأة مالها. ولها حق التصرف فيه، دون غيرها، وعلى الزوج أن يقوم بواجبه في النفقة عليها، وإن كانت ذات مال.

ومثل هذا الجشع من بعض الأزواج يحو المحبة، ويذيب الوُدّ من قلب الزوجة، إن لم يحملها على تصرفٍ مشين يحطّم السلام في أمن البيت. ومن ذلك ما نشرته جريد الرياض أن امرأة أقدمت على قتل زوجها، وتقطيعه، وتوزيع قطع الجثة على مدينتين، وفي مجاري المياه، لأنه كان يضربها، ويتسلط على مالها، يقول الله تعالى: (وَأْتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) (النساء: ٣٤).

■ - التجميل والزينة:

للزينة دور فعّال في إعفاف كلٍّ من الزوجين وقناعته بصاحبه والرغبة فيه، ودوام العشرة بالمعروف، ومتانة سياج المودة والمحبة، ولا غرو، فالقلب مجبول على التطلع إلى الجمال ومحبهته. بيد أن بعض الرجال يعتقد أن هذا خاص بالمرأة دونه، وأنه يجب عليها أن تتجمل له وتزينن لكنه لا يقوم بدوره في التجميل لذلك الاعتقاد الخاطيء، وقد قال الله تعالى: (وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (البقرة: من الآية ٢٢٣). نعم إن زينة الرجل كمال رجولته، وقوامته، وحسن عشرته، ولكن التجميل الظاهر مطلب للمرأة ترتاح له وتسرُّ به.

وقد بينت ذلك إحداهن حينما خطبها رجلٌ قد شاب شعر رأسه فأبدت موافقتها، وقالت: "أخبروه أن في رأسي شيئاً"، فغير الرجل رأيه لذلك، فقالت المرأة: "والله ما في رأسي شعرة إلا وهي سوداء، ولكنني أردت أن أعلمه أن ما يجبونه فينا نجبه فيهم".

ومع هذا كله، تجد كثيراً من الأزواج يهمل هذا الحق لزوجته عليه.

وأكثر من ذلك، وأشدُّ قبحاً ما يقع من إهمال كثير من النساء لزينتهن أمام أزواجهن، أصحاب الحق بالزينة وقد تمرُّ بالواحدة الأيام والليالي لم تبدُ خلالها بمظهر حسن لبعْلِها، وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل يتعداه إلى أن الزوج الذي بماله تُشتري الملابس الجميلة، والعمُور، وأدوات الزينة، يحرم منها، لتعرضها المرأة أمام النساء في المناسبات والأعياد والزيجات.

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس!!

حتى حدا هذا العمل ببعضهم أن ينتظر بفاغ الصبر قدوم مناسبة يمتع ناظريه فيها بزوجه بأبهى حلة وأحسن حال، ووصل الأمر بآخرين إلى افتعال المناسبة، واختلاق موعدها ليحظى بتحمل زوجته له. وهذا لا شك ظلمٌ من الزوجة لزوجها، وتقصير في حقه، مضر بسعادتها معه، يحمل الزوج على الانصراف عنها، والزهادة فيها، ليتطلع إلى الزواج بأخرى تروي عاطفته، وتشبع غريزته وتملاً عينه.

وقد تزوج أحدهم بامرأة أخرى لهذا السبب، فما كان من الأولى إلا أن تزينت وتحمِلت، فلما دخل الزوج عليها ظنّها امرأة أجنبية من عظم الفوارق بين حالتها، ودهش حينما رآها بهذا التآلق الذي ظن أنها تفتقده، وأخبرها أنه ما كان ليتزوج لو كانت معه على تلك الحال قبل ذلك، ولكن على نفسها جنت براقش.

📖 - أم الزوجة:

ترسخت لدى كثيرين مفاهيم خاطئة عن أمّ الزوجة (الحماة) استقوها من الصحف والمجلات والمسلسلات، صوّرت فيها على أنها امرأة شريرة، تحمل في طبعها الكيد والمكر والخداع، وأن سعادتها منوطة بشقاء زوج ابنتها، وراحتها في تعليم ابنتها أساليب ابتزاز مال الزوج، وتعب بدنه. والحقيقة أن الواقع خلاف ذلك، فالحماة امرأة فاضلة صالحة تسهر على سعادة ابنتها مع زوجها، وتحرص على قيام ابنتها بكامل حقوق الزوج، وقد تُضحّي براحتها لإراحتها، وهذا لا

يعني أن كل حماة بهذه الصفات، بل قد يكون منهن من هي بخلاف ذلك، وهذا غير مستبعد على طبائع البشر، لكن أن تنقلب الأحوال فتصور على غير ما هي عليه في أعم أحوالها، فذلك ظلم لها، وهضم لجميلها، وقل مثل ذلك عن أمّ الزوج.

❏ - تعدد الزوجات:

تعدد الزوجات أمر مشروع، ولا مجال للنقاش في مشروعيته، وإنه ليخشى على دين من يُناقش في ذلك، ويخطئ أولئك الذين يظنون أن التعدد مباح عند الضرورة، كعقم الزوجة، أو مرضها المزمن، فذلك مما لم يرد به دليل، ولم ينزل به شرع.

ولست الآن بصدد البحث في هذا الموضوع، لكن أعرض منه ما له مساس بموضوعنا (مقومات السعادة الزوجية) وهو حث الرجال والنساء على الاعتدال في مسألة التعدد، والأمر بالتزام المنهج الشرعي فيها.

فمن الأزواج من يتعجل في التعدد، ويقدم على الزواج من غير تبصّر وترئص فيقع في أخطاء فادحة، تُهشّم بُنيان السعادة في أسرته.

ومنهم من يجعل الحديث عن التعدد سبيلاً لإغاظة الزوجة، واستفزازها وتهديدها.

ومنهم من لا يراعي في التعدد إلا إشباع الرغبة الجنسية. صارفاً النظر عن الأغراض الشرعية السامية، التي من أجلها شرع التعدد، ومعرضاً عما ينبغي أن يقوم به من العدالة والقوامة والقدرة على القيام بالحقوق، فيكون حاله كحال هذا الشاعر الذي يقول مصوراً ما هو فيه من تعاسة ونكد عيش.

بما يشقى به زوجُ اثنتين

تزوجتُ اثنتين لفرطِ جهلي

أنعم بين أكرم نعجتين

فقلتُ أصير بينهما خروفا

تداولُ بينَ أخبثَ ذنبتين

فما أعرى من احدى السخطين

كذاك الضر بين الضرتين

عتابٌ دائمٌ في الليلتين

من الخيراتِ مملوءِ اليدين

فواحدة تكفيك شرَّ الضرتين

فصرتُ كنعجةٍ تُضحى وتُمسي

رضا هذه يُهيجُ سخطَ هذه

وألقى في المعيشة كلَّ ضرٍّ

لهذه ليلةٌ ولتلك أخرى

فإن أحببتَ أن تبقى كريماً

فعضُّ عزبا فإن لم تستطعه

8- ارتكاب المعاصي بحجة البحث عن السعادة:

وتلك قاصمة الظهر، وجالبة الشرور، قد سرت بين الناس سريان النار في الهشيم، وجاءت تحت قوالب ومسميات أبعد ما تكون عن الإسلام ومنهجه السوي في شأن الزواج، ومن ذلك مثلاً، ما يسمّى "بشهر العسل" تليساً وإيهاماً. ويرتكب الزوجان تحت مظلة هذا الشهر آثاماً من أشدها ضرراً وأخطرها شرراً قضية السفر إلى الخارج، بدعوى السياحة والتفرج، وهي بدعة غريبة يحقق عملنا بها قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "التتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضبٍ لسلكتموه"⁽¹⁾.

ويحدث خلال السفر ما يندى له جبين المسلم من ضياع الأموال، وتبرج النساء، وارتكاب المحظورات، وهذه هي سعادتهم، شهر واحد فقط، ثم تعاسة دائمة، وبؤس مستمر. أما المسلم فحياته كلها سعادة وبهجة.

1 - رواه البخاري (فتح 495/6، 300/13) ومسلم (2669).

ومن ذلك، مشاهدة الأفلام الخليعة، خصوصاً في أول ليالي الحياة الزوجية، أو قراءة المجلات الماجنة، أو استماع الأغاني المحرمة المثيرة للغرائز، أو قيام الزوجة بتضييف أصدقاء زوجها، أو هتكها لحجابها، وغير ذلك من المعاصي التي لا تخفى، والتي تعود بالشؤم والبلاء العاجل والآجل على عش الزوجية (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى: ٤١). وكم تفرق شمل، وتشئت جمع، واضطربت بيوت، وطلقت نساء وضيع أولاد، بشؤم المعصية، في وقت يتصور الزوجان أنهما بهذه المعاصي يحققان السعادة والهناء.

📖 - الهدية:

لعل خير ما يذكر في آخر هذه الرسالة لتحقيق الأهداف التي كتبت من أجلها، مسألة غفل عنها الكثير من الأزواج مع أثرها في تحقيق السعادة ودوام المحبة والألفة، ألا وهي الهدية، هدية الزوج لزوجته وهدية الزوجة لزوجها، وكذلك هدية كل من الزوجين لأهل الآخر، وبالأخص للوالدين، إن الهدية تذهب السخيمة، وتزيل البغضاء، ومهما كانت الهدية بسيطة ويسيرة فإن لها من الآثار النفسية ما يصعب حصره وتعدد مزاياها. فتهادوا تحابوا.

ومما يلحق بالهدية إفشاء السلام وطلاقة الوجه والبشاشة، "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم". رواه مسلم.

"ولا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق". رواه مسلم.

وجربوا الهدية والسلام والبشاشة وستجدون النتيجة بإذن الله.

الحادي عشر: الخاتمة

وبعد:

هذه أبرز مقومات السعادة الزوجية لمن أراد حياة هائلة مستقرة، لا تشوبها المشكلات والقلاقل، ولا تكدرها الخصومات والشقاق.

وفي هذا البيت السعيد تتكون الأسرة المؤمنة وتترى الأجيال، ومن مثل هذه الأسرة يتخرج القادة والمصلحون. إن أمتنا الإسلامية بأمس الحاجة إلى الوقوف في وجه الهجمة الشرسة من أعدائنا لتقويض أركان الأسرة في مجتمعنا، عن طريق وسائل متنوعة متعددة، لا تخفى على أولي الألباب.

إن الأسرة التي تلتزم بدينها وعقيدها، وتجعل الكتاب والسنة نبراساً لحياتها، لها جديرة بالبقاء والهناء والسعادة (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (طه: من الآية ٣١).

أما من انحرف عن المنهج السوي، وابتعد عن الصراط المستقيم، ودان لأخلاق الشرق والغرب، إعجاباً وتقليداً وسلوكاً، ورى أهله وأبناءه على هذه الطرق، فلا يلومن إلا نفسه، (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه: ٣١).

وعلينا أن نتذكر ما أعده الله للأزواج السعداء في الدنيا من سعادة في الآخرة (هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ) (يس: ٢٨). والملائكة يدعون لهؤلاء السعداء، (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (غافر: ١٣).

وليحذر الزوجان أن يكونا ممن قال الله فيهم: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) (الصفات: ١١، ١٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.